الانكليز حلقة الشر المفرغة

للاستاذ محمد البشير الابراهيمي

رئيس تحرير (البصائر) الجزائرية

أيها العرب !

إن الإنكليز هم أول الشر ووسطه وآخره ، وإنهم كالشيطان منهم يبتدىء الشر وإليهم ينتهي . وإنهم ليزيدون على الشيطان بأن همزاتهم صور مجسمة تؤلم وتؤذي وتقتل ، وجنادل مسومة تهشم وتحطم وتخرب ، لا لمة تلم ثم تنجلي ، وطائف يمس ثم يخنس ، ووسوسة تلابس ثم تفارق . ويزيدون عليه بأنهم لا يطاردون بالاستعاذة وتذكر القلب ويقظة الشواعر ، وإنما يطاردون بما يطرد به اللص الوقح من الصفع والدفع والأحجار والمدر ، ويدفعون بما يدفع به العدو المواثب ، بالثبات المتين للصدمة ، والعزم المصمم على القطيعة وبت الحبال ، والإرادة المصرة على المقاطعة في الأعمال ، والإجماع المعقود على كلمة واحدة كـكلمة الإيمان « إن الإنكليز لكم عدو فاتخذوهم عدوا » . يرددها كل عربي بلسانه ، ويجعلها عقيدة جنانه ، وربيطة وجدانه ، وخير ما يقدمه من قربانه .

قد عرفكم أول الإنكليزي فاعيدكم أن تغتروا بآخره بعد أن صرح شره ، وافتضح مره ، وانكشف لكم ليثه عن الأحساك والأشواك . وقد تمرس بكم فعرف الوالج والخارج من نفوسكم قبل أن يعرف أمثالها من بلادكم ، وحال معادن النفوس منكم قبل أن يحال معادن الأرض من وطنكم ؛ وعجم أمراءكم فوجد أكثرهم من ذلك الصنف الذي تلين أنابيبه للعاجم ، وتدين عروبته للأعاجم .

قد علمتم أنه هو الذي وعد صهيون فقوى أمله ، ولولا وعده لكانت الصهيونية اليوم — كما كانت بالأمس — حلما من الأحلام يستغله (الشطار) ، ويتمال به الأغرار .

وعلمتم أنه انتدب نفسه على فلسطين فكان الخصم والحكم في قضيتها ، وأنه ما انتدب إلا ليحقق وعده ؛ وأن في ظل انتدابه ، وبأسنة حرابه ، حقق صهيون مبادىء حلمه فانتزع الأرض منكم بقوة الإنكليز وقوانين الإنكليز ، وفتن ضعفاءكم بالخوف وفقراءكم بالمال حتى أخرجهم من ديارهم ، واتخذ الصنائع والسماسرة منكم ، وبنى المدن بأيديكم ، ومهد الأرض بأيديكم ، وشاد المصانع بأيديكم ، وأقام المتاجر وبيوت الأموال لامتصاص دمائكم وابتزاز أرزاقكم .

وعلمتم أن الإنكليز هم الذين سنوا الهجرة بعد الفتح ليكثروكم بالصهيونيين على هذه الرقعة من أرضكم ، فلما انتبهتم للخطر غالطوكم بالمشروع منها وغير المشروع . ومتى كانت هجرة الوباء والطاعون مشروعة إلا في دين الإنكليز ؟

وعلمتم أن بريطانيا هي التي جرت ضرتها البلهاء أمريكا إلى عداوتكم وجرأتها على احتقاركم لتكيدها وتكيدكم ، ولتحل بالسياسة ما عقده الاقتصاد بينكم وبين أمريكا من صلات ؛ وأنها هي التي ألبت عليكم الأمم الصغيرة ودويلاتها حتى إذا جالت الأزلام وأيقنت بالفوز أمسكت إمساك المتعفف ، وتظاهرت بالروية والحكمة ، وجبرت خواطركم بالحياد ، وملأت الدنيا تنويها بهذا الحياد الفاضح ، فكانت كالقاتل المعزى ...

يا ضيعة الآداب الإسلامية بينكم ! إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، وقد لدغتم من الجحر الإنكليزي مرات فلم تحتاطوا ولم تعتبروا . وخدعتم من الجانب الإنكليزي كرات فلم تتعظوا ولم تتبصروا . خدع خلفكم كما خدع سلفكم ، واستهوى أمراءكم

الحاذر وابن كروس[1] ... » ، وتجد في رواية ابن عبد ربه شيئاً جديداً لا تجده في الروايات المتقدمة .

وقد سبق أن أوردنا رواية أخرى عن عبد الله بن سبأ نسبت إلى الشعبي كذلك ، وهي رواية الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » غير أنه لم يسمه « عبد الله بن سبأ » بل دعاه « ابن السوداء » ، وتجد في رواية صاحب « العقد الفريد » أن الشعبي قد فرّق بين « عبد الله بن سبأ » وبين « عبد الله بن السوداء » فجعلهما رجلين مختلفين نفى أحدهما إلى « ساباط » ، ونفى الثاني إلى « الحاذر » ، وتجد مثل هذا التفريق في كتب أخرى .

مبارك علي

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤١ راجع نفس الرواية في ضحى الإسلام ج ١ ص ٣٣٤

وكبراءكم ودعاكم إلى موائده الفقار فلبيتم . وما رأى منكم في كل الحالات إلا المجاملة ، واستمرار المعاملة ، وما أنس منكم إلا التهافت على أعتابه ، والتملق بأسبابه .

فيا ويحكم ... أكل ذلك لأن الانكليز أغنياء وأنتم فقراء ، أو لأنهم أقوياء وأنتم ضعفاء . كلا ... إنهم لأغنياء بكم وبأمثالكم من الأمم المستخذية ، وليسوا أغنياء عنكم . وإنهم لأقوياء بما يستمدونه من أرضكم وجيوبكم فاقطعوا عنهم المددين يضووا ويهزلوا ، واخذلوهم في مواطن الرأي واليأس يتخذلوا ، وعمروا جزيرتكم تخرب جزيرتهم . إن لبدة الأسد هي بعض أسبابه إلى زرع الهيبة في القلوب ؛ ولكن لبدة الأسد البريطاني لبدة مستعارة . فلو أن كل أمة استرجعت شعراتها من تلك اللبدة التي تكمن وراءها الرهبة لأمسى الأسد هزيلا مجرود العنق ممروق الصدر بادي الهزال والسلال .

إن الغنى عمل وتدبير . فلو عملتم لكنتم أغنياء . وإن بدء الغنى من غنى النفس بالتعفف عن الكماليات ، وقطعها عن الشهوات . وإن القوة مشيئة لا جبر ، فلو شئتم أن تكونوا أقوياء لكنتم . وإن بدء القوة من قوة الأخلاق ، وقوة الاتحاد

***

هذا أول الإنكليز عرفتموه ، فهل عرفتم آخرهم ؟ إنهم كانوا أداة تفريقكم في الماضي ، وكانوا عونا للزمان عليكم ، فلما رأوا شملكم إلى اجتماع ، وجامعتكم إلى تحقق ، جمعوا لكم كل ما عندهم من مكائد ومصائد ... إنهم يتطورون لكم على العظائم ؛ وإن في جعبتهم ما في جعبة الحاوي من حيات . وإن في أيديهم عروق الجسم العربي يضغطون على أيها شاءوا متى شاءوا . في أيديهم قضية مصر يساومون بها ويماكسون ، وفي أيديهم قضية السودان يلوحون بها ويماكسون ، وفي أيديهم قضية ليبيا يشاغبون بها ويشاكسون ، وفي قبضتهم شرق الأردن بما فيه ، وما شرق الأردن إلا خيط الخنق وشريط الشنق فتله الإنكليز بأيديهم وأمرؤا على الأيام فتله ، لأمر هم بالغوه إن لم تهبوا وتذبوا ، وفي أيديهم العراق ومنابعه ، واليمن وتوابعه ، ولهم على سوريا ولبنان يد ممنونة ، في طيها مدية مسنونة . وفي أيديهم مفاتيح الجزيرة ، وأسراء الجزيرة ، وقد أعدوا لكل قفل من أقفالها مفتاحاً ، ولكل أمير من أمرائها مقوداً من رغبة أو رهبة . ولهم مع ذلك من بينكم العيون الراصدة ، والألسنة الحاصدة . وفيكم مع ذلك الآذان السامعة ، والهمم الطامعة ، وفي سجلاتهم ذممكم وهممكم وقيمكم ، قدروها تقديرا ، وأوسموها تحليلا وتدبيرا .

إنهم ما حركوا مشروع سوريا الكبرى في ميقات معلوم إلا ليفتنوا بعضكم ببعض ، ويغروا بيتاً ببيت ، وقريشاً بتميم . فينخرق الإجماع وتفترق الجامعة . وإن هذه النقطة هي أعلى ما يصل إليه الدهاء الإنكليزي ، كما أنها أعسر امتحان للضمير العربي الذي يتمنى أن يقتتل العرب ولكن بدافع من أنفسهم لا على يد عدوهم . وإن الانكليز لقادرون على تحريك غيرها من الفتن المفرقة . وإنكم — أيها العرب — لا تردون كيدهم إلا بإجماعكم على تحديهم ، واجتماعكم على إيقاف تعديهم ، وإقامة جامعتكم على اعتبار مصلحة العرب ووطن العرب فوق الأغراض والأشخاص .

إنكم لا تردون كيدهم بقوة جامعة الدول العربية ، حتى تسندوها بجامعة الشعوب العربية ، فحركوا في وجوههم تلك الكتلة متراصة يرهبوا ثم يذهبوا .

لسنا في هذه الكلمة حقائق صريرة ، وأوماءنا إلى قضايا يسوءنا أن نزيد حمأتها مدا . ولكن ما عذرنا إذا أمسكنا عن الشرح ، ولو كان فيه جرح ! وقد تأدى إلينا من تراث أجدادنا العرب هذه الحكمة الغالية « من كتم داءه قتله » .

(الجزائر) محمد البشير الابراهيمي

مجلس مديرية القليوبية

يطرح في المناقصة العامة توريد بطاطين صوف وجرادل صاج وتطلب كراسة المناقصة من المجلس بثمن مبلغ خمسين مليما على ورقة تمغة . وآخر ميعاد لقبول العطاءات ظهر يوم ١٨ / ٥ / ١٩٤٨ وفتح المظاريف يوم ١٩ منه الساعة التاسعة أفرنكي صباحاً .

٩٢٥٢